

القَصَصُ الدِّينِي
الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

قَابِلٌ وَهَابِيكُ

عبد الحميد جودة السحار

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

الْقَصَصُ الدِّيْنِيّ

قَابِلٌ وَهَابِيكُ

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل في السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها في جملة على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجماً أو معرباً . وفي القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه في مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا في هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هي المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن في هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثاني : أن نحقق السرد الفني للقصص بما يربى في الطفل الشعور الديني ويقوى الحاسة الفنية وينمي الذوق الأدبي .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هي الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهي خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت في أربعة وعشرين جزءاً ؛ وأما الحلقة الثالثة فهي خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت في عشرين جزءاً ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية في جميع العصور . وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذي اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولي التوفيق .

المؤلف

كان آدم وحواء يعيشان في الجنة سعيدين ، لا
 يعرفان التعب أو الخوف ، ولكن لما لم يسمعا أمراً
 الله ، أنزلهما إلى الأرض ، فوجدوا الأرض مغطاة
 بالأشجار العالية والأعشاب ، ووجدوا السباع
 والنمور والفيلة والضباع وجميع الوحوش تعيش في
 الأرض ، فخافا أن تأكلهما هذه الوحوش ، فسكنا
 في كهف عال ، ولما جاعا لم يجدوا طعامهما قريباً
 سهلاً كما كانا يجدانه في الجنة ، بل كان على آدم
 أن يبحث عن الطعام في وسط الغابات والأشجار .
 أصبح على آدم أن يتعب وأن يسيل عرقه ، قبل
 أن يجد طعامه ، وأصبح على حواء أن تساعد في
 عمله ، وتشاركه في تعب .

وحملت حواء ووضعت طفلاً سمته قابيل ، وفرح
آدم بأول ولد له ، ووجد أن حواء لن تستطيع أن
تشاركه في عمله ، فقد أصبح لها عمل آخر ؛ هو
العناية بالطفل . فخرج وحده يبحث عن الطعام
طول النهار ، حتى إذا جاء الليل ، عاد إلى الكهف
يلعب ابنه وهو فرحان .

ومرت سنة أخرى وحملت حواء ووضعت
طفلاً آخر سمته هابيل ، واستمر آدم في
البحث عن الطعام وإحضاره للأسرة . التي زاد
عددها .

٢

وكبر قابيل وهابيل ، وأصبحا شائين ، فصار
عليهما أن يتركا اللعب ، وأن يعملوا ليساعدا آدم في

إحضار الطعام للأسرة الكبيرة ، وفي حمايتها من
السباع والنمور والوحوش .

كان قابيل أكبر من هابيل ، وكان هابيل أقوى من
أخيه ، وكان قلبه رقيقاً ونفسه طيبة ، فكان يحب
الحيوان ويعطف عليه .

وأراد آدم أن يُقسّم العمل بين ولديه ، فرأى أن
يُكلّف قابيل زراعة الأرض ؛ لأنّ الأرض لا تحتاج
إلى رقة أو حنان قلب ، وأعطى هابيل رعاية الأغنام
والبقر ؛ لأنها تحس وتألّم ، وتحتاج إلى من يعطف
عليها .

طلعت الشمس ، فخرج آدم وقابيل وهابيل من
الكهف ، وذهب قابيل يجمع الثمار ، وذهب هابيل
يرعى الماشية ، ويعطف عليها ولا يؤذيها ، وذهب
آدم يصطاد بعض الطيور ، وينقل الماء إلى حواء
لتنظف أبنائها .

وكانوا إذا جاء الليل ، عاد الرجال إلى الكهف ؛
قابيل يحمل الفواكه ، وهابيل يحمل الألبان ، وآدم
يحمل بعض الطيور التي اصطادها ، ثم يوضع الطعام
ويقعد الجميع يأكلون .

٣

زادت الفواكه والثمار التي رزق الله بها آدم
وأولاده ، فأراد آدم أن يعلم ولديه الكبيرين كيف
يشكران الله على هذه النعم الكثيرة ، فأمرهما أن
يذهبا إلى قمة الجبل ، وأن يضع كل منهما شيئاً من
محصوله ، ليأخذه ويأكله أي من مخلوقات الله ،
التي لا تعرف تربية الحيوان أو زراعة الأرض ،
فيكون هذا زكاة وقرباناً لله .

ففرح هابيل لأن قلبه طيب . أما قابيل فقال في
نفسه : لماذا أخسر هذا الذي كسبته بالتعب

والعرق ، فَأَتْرُكُهُ وَأَرْمِيهِ وَلَا أَنْتَفِعُ بِهِ ؟! ولكنه لم
يقدر أن يردَّ على أبيه .

٤

ذهب هابيل إلى غنمه ، وأخذ يَبْحَثُ حتى وجد
خروفاً سمينا ؛ كان أحسن خروفٍ عنده ، فذبحه
وهو مسروراً لأنه سيقدمه لله الذى يرزقهم بالطعام
والشراب ، أما قابيل فقد أخذ يَبْحَثُ فى الفاكهة
والثمار ، ولكنه لم يكن يَبْحَثُ عن أحسن ما عنده ،
بل كان يَبْحَثُ عن شىء ردىء - لأنه هو نفسه كان
رديئاً بخيلاً - حتى وجد فاكهةً فاسدة .

قدَّم قابيلُ إلى الله هديته الرديئة الفاسدة ، وكان
قلبه رديئاً كهديته ، وقدَّم هابيلُ هديته التى كانت
أحسن ما عنده ، وكان قلبه صافياً نظيفاً .

وفى اليوم التالى ، ذهبا ومعهما أبوهما آدم إلى
قِمَّةِ الجبل ، فلم يجد هايل هديته ، فعرف أن الله
قبلها منه ، أما قايل فوجد هديته الرديئة كما هى .
ففرح هايل وشكر الله ، وغضب قايل ، واغتاظ
من أخيه ، وقال لأبيه وهو غضبان :
- إنما تقبل الله منه ، لأنك دعوت له ، ولم تدع
لى .

فقال له آدم :

- بل تقبل الله منه لأنه قدّم أطيب ما عنده ،
وقلبه صاف . أما أنت فقدّمت إلى الله أردأ ما
عندك ، وقلبك ردىء . إن الله طيب لا يحب إلا
الطيب .

وانصرف هايل ، ووقف قايل ينظر إليه وهو
غضبان ، ثم سار خلفه وهو مُطْرِقُ الرأس ، يشعر

بِخِزْي . كَانَ حَزِينًا لِأَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ أَخَاهُ عَلَيْهِ . لَمْ يَغْضَبْ
عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ كَانَ رَدِيئًا ، بَلْ غَضِبَ عَلَى هَابِيل .
وَجَاءَ الشَّيْطَانُ وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ : اقْتُلْ أَخَاكَ ،
اقْتُلْ هَابِيلَ .. فَرَفَعَ قَابِيلُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ ، فَرَأَى أَخَاهُ
يَسِيرُ هَادِنًا فَشَعَرَ بِضَيْقٍ ؛ وَرَاحَ الشَّيْطَانُ يَقُولُ لَهُ :
اقْتُلْ هَابِيلَ . اقْتُلْ هَابِيلَ .. فَأَسْرَعَ خَلْفَ أَخِيهِ ،
حَتَّى إِذَا لَحِقَ بِهِ ، قَالَ لَهُ فِي غَضَبٍ :
- لَأَقْتُلَنَّكَ .

فَقَالَ لَهُ هَابِيلُ فِي اسْتِغْرَابٍ :

- لِمَاذَا تَقْتُلُنِي ؟

- لِأَنَّ أَبِي يُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِنِّي ؛ وَلِأَنَّ اللَّهَ فَضَّلَكَ

عَلَيَّ .

- إِنَّ قَتْلِي لَنْ يُغَيِّرَ شَيْئًا ، فَلَنْ يُحِبَّكَ أَبِي لِأَنَّكَ

قَتَلْتَنِي ، وَسِزْدَادُ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

وَقَبْضُ قَابِيلَ عَلَى هَابِيلَ وَهُوَ ثَائِرٌ ، وَقَالَ لَهُ :

- سَأَقْتُلُكَ لِأَسْتَرِيحَ مِنْكَ .

فَقَالَ هَابِيلُ لِأَخِيهِ :

- لَنْ تَعْرِفَ الرَّاحَةَ إِذَا قَتَلْتَنِي .

فَقَالَ قَابِيلُ وَالْغَضَبُ يُعْمِيهِ :

- لَنْ أَعْرِفَ الرَّاحَةَ حَتَّى أَقْتُلَكَ .

فَقَالَ لَهُ هَابِيلُ فِي هَدُوءٍ ، وَكَانَ أَشَدَّ مِنْ أَخِيهِ

وَأَقْوَى :

- ﴿ لَنْ بَسَطْتُ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي ، مَا أَنَا بِبَاسِطٍ

يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وَانصَرَفَ هَابِيلُ فِي هَدُوءٍ ، وَوَقَفَ قَابِيلُ وَهُوَ

يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ ، يَشْعُرُ بِكُرْهِ شَدِيدٍ لِأَخِيهِ .

وصل قابيلُ إلى الكهف وهو حزين ، وتمدد لينام ،
ولكنه لم يَنَمْ ، كان يفكر فيما حدث وهو مُتضايق ،
وجاء الشيطانُ يَهْمِسُ في أذنه : اقتل هابيلَ
لتستريح .. اقتل هابيل .. واستمرَّ يستمع إلى
الشيطان ، وهو يتقلبُ في قلق ، حتى إذا طلع النهار
خرج من الكهف ، وقد عزمَ أن يقتل أخاه .

ذهب هابيلُ إلى الأغنام ليعتنى بها ، وكان مسروراً
منشرح الصدر ؛ وخرج قابيلُ ليزرع الأرض
وكان عبوساً مغتاظاً من هابيل . فلما رأى أخاه يسير
بين الغنم هادئاً ، زاد غضبه ، وجاء شيطانه يصيح
به ، اقتله واسترح . فنظرَ حوله فوجدَ صخرة
فحملها وذهبَ إلى أخيه كالمجنون ، وضربه بها

فسقط هابيل مقتولا ، وجرى أول دم على الأرض .
أفاق قابيل إلى نفسه ، فلما رأى دم أخيه شعر
بندم ، وعرف أنه عمل عملا فظيلا : قتل هابيل ولم
يفعل هابيل ما يستحق عليه القتل .. كان أخوه طيبا
فعمل الطيب ، أما هو فكان سيئا وعمل السيئ .
ولم يعترف بذلك ، بل زاد في رداءته وحسد أخاه
وقتله .

ها هو ذا قتل أخاه ، فماذا كسب من قتله ؟ إنه لم
يكسب شيئا ، بل خسر كل شيء . إنه يشعر
بالخوف ، ويشعر بالحزن ، ويشعر بالندم ، خسر
الراحة ، وخسر الأمن ، وخسر الاطمئنان . إن
الريح تهب فيخيل إليه أنها تصرخ به : قاتل ..
قاتل .. والوحوش تزار في الغابة ، فيتصور أنها
تناديه : يا قاتل .. يا قاتل !

إنه خائف ، إنه يَنْتَفِضُ ، إن رجليه لا تستطيعان
حمله ، فسقط إلى جوار أخيه ، وأخذ يهزّه ويناديه :
- ها بيل ... ها بيل ..

ولكن ها بيل بقى ساكنا لا يُجيب ، فقد أصبح جثة
فارقتها الحياة .

٦

وقف قابيلُ أمام أخيه المقتول حائراً ؛ إنه لا يعرف
ماذا يفعل . مات ها بيل ولم يعد يستطيع أن يقوم أو
يمشى ، فماذا يفعل قابيل ؟! أتركه فى الفضاء
للطيور الجارحة وللوحوش ؟ فكر ، ولكنه لم يهتدِ إلى
شئ ، وخطر له أن يحمل أخاه ، فتقدم وحمل جثّة
ها بيل على ظهره ، وسار وهو قلق لا يدري ماذا
يفعل بالجثّة .

واستمرَّ في سيره حتى تعبَ ، فوضعَ جثةَ أخيه
على الأرض ، وجلس إلى جوارها وهو حزين ،
وأخذَ ينظرُ إليها ويفكرُ فيما يفعل ، ويلوم نفسه على
قتل أخيه ، ويتمنى لو أنه لم يقتله .

حتى إذا استراح ، حمَلَ أخاه مرة ثانيةً على
ظهره ، وسارَ به وهو ينتفض من الغضب على
نفسه ، واستمرَّ في سيره وهو حيران ، حتى إذا
أحسَّ تعباً وضع أخاه على الأرض ، وجلس
يستريح .

واستمرَّ يحملُ أخاه على ظهره ويضعه إذا تعب ،
ثمَّ يعود ويحملة ويدور به في الفضاء ، وهو حيران لا
يدري كيف الخلاص .

وبينما هو يسير ، إذ رأى غراباً حياً وبجانبه غرابٌ
ميت ، والغراب الحيُّ يحفرُ في الأرض بمنقاره ورجليه

حتى حفر حُفْرَةً كبيرة ، فجذب الغراب الميت
ووضعه في الحُفْرَةِ ، وغطّاه بالتراب .

فلما رأى قابيلُ ذلك عَجِبَ مِنْ أمرِهِ ، وقال :

— يا وَيْلَتَا ! أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا

الغراب ، فَأُوارِيَ سَوَاءَةً أَخِي ؟ ❀ .

وقام وأخذ يحفرُ في الأرضِ حفرةً ، ثم جذبَ أخاه

ووضعه فيها ، وغطّاه بالتراب .

٧

وأقبل آدم يبحث عن وَلَدَيْهِ ، فلما رآهُ قابيلُ قادمًا

شَعَرَ بِالْخَوْفِ ، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَاهُ لَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا فَعَلَهُ ،

فَفَرَّ مِنْ وَجْهِهِ مَذْعُورًا مَفْزُوعًا ، فلما رآهُ آدمُ يَجْرِي

مِنْ وَجْهِهِ دَهْشَ ، وَنَظَرَ حَوْلَهُ فَرَأَى دَمَ هَابِيلَ ، فَدَقَّ

قَلْبُهُ فِي شِدَّةٍ ، وَانْقَبَضَ ، فَقَدْ عَرَفَ أَنَّ قَابِيلَ قَتَلَ

هابيل ، فحزن وجرت دموعه على خديّه ، وجرى
خلف قابيل وهو حائق ، وأخذ يصيح :

- قابيل .. ماذا فعلت بأخيك !؟

وخيل لقابيل أن الدنيا كلها تصيح به :

- قابيل .. ماذا فعلت بأخيك ؟

فاستمرّ يجرى وهو مفزوع ، حتى وصل إلى حافة
الجبل ، فنزل وهو خائفٌ يضطرب ، وآدم يصيح
به :

- قابيل ! لن تعرف الراحة أبدا ، لقد فتحت على

نفسك أبواب الخوف . اذهب ، فلا تزال مرعوباً لا
تأمن من تراه .

القِصَصُ الدِّينِيّ

الحلقة الأولى - قصص الأنبياء (بالاشتراك مع سيد قطب)

- | | | |
|----------------------------|----------------------|---------------------------|
| (١) آدم وحواء | (٧) فداء إسماعيل | (١٣) موسى والرجل الصالح |
| (٢) قابيل وهابيل | (٨) يوسف الصديق | (١٤) داود |
| (٣) سفينة نوح | (٩) تحقيق الرؤيا | (١٥) سليمان وبلقيس |
| (٤) إرم ذات العباد | (١٠) مدين وشعيب | (١٦) عيسى بن مريم |
| (٥) ناقة صالح | (١١) موسى والعصا | (١٧) أهل الكهف |
| (٦) إبراهيم يبحث عن الله | (١٢) موسى والألواح | (١٨) قبرة الله |

الحلقة الثانية - قصص السيرة :

- | | | |
|---------------------------|--------------------------|---------------------------|
| (١) هاشم بن عبد مناف | (٩) المسلسون الأوائل | (١٧) صلح الحديبية |
| (٢) عبد المطلب جد النبي | (١٠) الاضطهاد | (١٨) الدعوة إلى الإسلام |
| (٣) عبد الله وأمة | (١١) الهجرة إلى الحبشة | (١٩) فتح مكة |
| (٤) مولد الرسول | (١٢) أيام الشدة | (٢٠) غزوة حنين |
| (٥) حليلة السعدية | (١٣) الهجرة | (٢١) غزوة تبوك |
| (٦) التميم | (١٤) غزوة بدر | (٢٢) حجة الوداع |
| (٧) خديجة بنت خويلد | (١٥) غزوة أحد | (٢٣) النبي الصالح |
| (٨) الوحي | (١٦) الخندق | (٢٤) وفاة الرسول |

الحلقة الثالثة - قصص الخلفاء الراشدين :

- | | | |
|----------------------------------|----------------------------|-------------------------------|
| (١) أبو بكر خليفة الرسول | (٨) عمر في بيت المقدس | (١٥) مقتل عثمان |
| (٢) أبو بكر يقاتل مانعي الزكاة | (٩) فتح مصر | (١٦) الإمام علي بن أبي طالب |
| (٣) أبو بكر وخالد بن الوليد | (١٠) عمر والرعية | (١٧) وقعة الجمل |
| (٤) وفاة أبي بكر الصديق | (١١) وفاة عمر | (١٨) وقعة صفين |
| (٥) عمر أمير المؤمنين | (١٢) عثمان بن عفان | (١٩) التحكيم |
| (٦) فتح دمشق | (١٣) فتح إفريقية | (٢٠) مقتل الإمام |
| (٧) عمر وسعد بن أبي وقاص | (١٤) عثمان وثورة الأمصار | |

الحلقة الرابعة - العرب في أوروبا :

- | | | |
|--------------------------|---------------------------|----------------------------------|
| (١) الرحي والطلسم | (٩) صقر قريش | (١٧) الحكم بن الناصر |
| (٢) رؤيا الرسول | (١٠) عودة إلى غزو فرنسا | (١٨) الاميرة صبح |
| (٣) ملك الأندلس | (١١) الحكم بن هشام | (١٩) المنصور بن أبي عامر |
| (٤) طارق بن زياد | (١٢) العرب في كريت | (٢٠) ولادة وابن زيدون |
| (٥) موسى بن نصير | (١٣) العرب في صقلية | (٢١) الجاهلية الثانية |
| (٦) نهاية موسى بن نصير | (١٤) عبد الرحمن وطروب | (٢٢) شقاق |
| (٧) العرب في فرنسا | (١٥) العرب في إيطاليا | (٢٣) انتصار الإسبان |
| (٨) شارل مارتل | (١٦) عبد الرحمن الناصر | (٢٤) آخر أيام العرب في الأندلس |